



لم اكن اعتقد ان الامر سينتهي على هذا النحو . قال :
 - لكن عندي شرط واحد ..
 تفرست في وجهه . ووددت لو اقتله ..
 - ان ينتهي الامر ببساطة ولا تبحث عن السبب ..
 ولكني الان مصرّ على ان اعرف او ينتهي كل شيء الى الدمار .. نظرت في أعين الواقفين حولنا .. كان الصمت يطلي كل شيء بالترقب . والخوف والحذر .. ولكنني فكرت بسرعة ..
 ما الذي يمكن ان تدفعه لقاء مليون من الجنيهات ؟ قلت :
 - ولكنك لا تطلب الموت ثمننا ..
 ابتسم .. قلت :
 - أهو الموت ؟
 قال :
 - انني سأخذ شيئاً واحداً .. عدت اقول :
 - الموت ..

كان الصمت داكنا . داكنا . واحسست بأن لونه مظلم . حتى انه يحجب كل شيء . قال :
 - لك ان تأخذ . ولسي ان اختار ..
 بعد سنوات من الضياع قالت لي زوجتي :
 - ما الذي جعلك توافق ، وببساطة ؟
 نظرت اليها بضيق . واحسست بأن شيئاً ما ملطخاً قد ترسب بداخلها . وودت لو انتزعته . قالت :
 - ولكنني لن ارضخ بعد ..
 قلت :
 - كل شيء يهون الا الموت .. عاد يتسّم . واستدار نحو الاخرين ..
 - طلب واحد . لقاء مليون من الجنيهات ..
 كنا في المنتدى الاخضر . وكان يخسر بسخاء .. واسميناه الواقف السخسي ..

قلت له ذات مساء :
 - اننا لم نعد نحس بلسدة المقامرة معك ..
 بعد عشرة ايام امتنع الاصدقاء عن اللعب معه .. بعد الكأس العاشرة صرخ :
 - انني مستعد ان اعطيك مليون جنيه لقاء شيء واحد آخذه منك ..
قلت :
انا ؟
 كف الجميع عن اللعب . تجمعوا حولنا في دائرة . وران الصمت ..
 استدار نحو الاخرين ..
 - طلب واحد لقاء مليون جنيهه . ولقد وقع اختياري عليه ليقبل المقامرة ..
 صعد الدم في رأسي . ابتسم . استدار نحوي في هدوء . ضحكت .
 - انت ثمل يا سيدي ..
 نظر اليّ في هدوء ..
 - وتستطيع ان تفيق لو وضعت رأسك تحت صنوبر الماء ..

جمدت ملامح وجهه . ونظر
اليّ بهدوء ..
- انني ما زلت يا سيدي عند
موقفني بأنني اقبل منك الامر على انه
نكتة ..
عاد ينظر اليّ بهدوء ..
صرخت :
- انني اقبل ..
* * *
في اليوم التالي اصبحت املك
مليوناً من الجنيهات . وعندما قابلته
للمرة الاخيرة على المائدة الخضراء
قال انه قد حصل على ما يريد ..
كنت في اعق مشاعر النشوة .
حتى انني بت اعتقد انني احلم . ان
ما مرّ ويمر الآن خيالات معدة مليئة
بالطمع او الحسرة ..
واحسنت كم يصبح الانسان
تعسا عندما تفاجئه السعادة ..
وعندما خرج من المنتدى جريت
وراءه مسرعاً وناديت بأعلى صوتي :
- ولكنك لم تخبرني ما الذي اخذته
يا سيدي ؟
نظر اليّ من داخل سيارته .
ابتسم . ثم ادار محرك السيارة
وانطلق بها . بينما ضحكاته تجلجل
وتفطى على صوت المحرك ..
قالت زوجتي :
- من مقامر ماجور الى رجل
يملك مليون جنيهه ..
نظرت اليها صامتاً ..
- الان ما عليك الا ان تشير .
ويتحرك الجميع ..
اخرجت من جيبي اوراقاً من
لبنكنوت لا اعرف عددها . وسلمتها
اليها . تماماً وكأنني اعطي حصيلة
ليلة من القمار لصاحب المنتدى ..
قلت :
- ولكن . كيف عرفت ؟
- الاسرار لا تطول اعمارها ..
دخلت بين طيات فراشي كمن
يلوذ بالامان . قالت :
- ولكن ما الذي اخذه نظير
الثروة الطائلة ؟
بعد سنوات من الضياع قلت لها :
- انني اشك انك الثمن ..

داخلي . وودت لو اتلاشى .. لو
اذوب ..
قالت :
- لقد تحفقت امنيتك الوحيدة
تأرجحت الكلمات على اساني .
ولكنني سحقتها قبل ان تففز من
فمي قفزا .
صرخت زوجتي :
- ماذا حدث لك ؟ ..
واكنك لن تهربي من مسؤوليتك
يا زوجتي العزيزة . غادرت زوجتي
الحجرة وهي تصرخ بانفعال شديد :
- لقد اصبحت الحياة معك
جحيماً لا يطاق ..
* * *
قال لي الصديق المحترف :
- لقد مرت السنوات بما يكفي
لكي تنسى ..
كان الضباب الكثيف قد بدأ
يملاً رثي .. وعقلي .. ويزحف على
كل جزء من كياني . همست في
ايساء شديد :
- ان ضحكته ما تزال تملأ اذني
- ولكنك تعذب نفسك بسلا
طائل ..
- انني اموت ..
ابتسم الصديق . همس :
- رجل له ثروتك لا يقول ذلك ..
سألت :
- اية ثروة ؟
ضحك الصديق عالياً :
- المليون ..
وددت لو اضحك من اعماقي
قال الصديق :
- لقد كانت صفقة كسبت فيها .
همست :
- لقاء اي مقابل ..
- انك لا تمل السؤال ..
قلت :
- انني اشك حتى في نفسي
- كمقامر لا اجد سبباً لمسا
تعاني ..
- كمقامر اشعر انني خسرت
كل شيء ..
ابتسم ..
قطبت جبينها في دهشة ..
- عن اي ثمن تتحدث ؟
* * *
قال لي صديق من المحترفين :
- لكنه نال ما يريد .. ولقد
سمعته بأذني ...
بلعت لعابي . وشعرت بالضالة .
وعرفت كم يصبح الفار يائساً يرتجف
امام القط :
- لست اعرف ما الذي ناله
ثمناً ..
عقد جبينه . ونظر الي
بعينين ضيقتين :
- ماذا .. ؟
قلت :
- لم اعطه شيئاً ..
* * *
عندما كنت صغيراً كان حلم
يقظني الذي لا آمله قط ان اضفط
على ازرار كهربية فيتحرك كل شيء .
وعندما تعرفت على زوجتي منيتها
بالجنة . قلت :
- كل شيء تستطيعين الحصول
عليه بلا مقابل او عناء ..
- كل شيء ؟
نظرت الى القمر الساطع ..
- كل شيء ..
وعندما امتلكت حلمي كنت قد
استيقظت تماماً . صحت ووجدتني
امسك بلا شيء .. بالعدم ..
* * *
قالت زوجتي ..
- ما الذي جعلك توافق ..
وبساطة ؟
كنت جالساً وحدي .. مهموماً
محاصراً . نظرت اليها بضيق .
واحسست بأن شيئاً ما ملطخاً قد
ترسب بداخلها . وودت لو انتزعت .
قالت :
- ولكنني لن ارضخ بعد .
نظرت الى العقد الماسي الذي
يسكب الوان الطيف على صدرها ..
- انك تهمل نفسك . تهملني ..
ثم نظرت الى نقطة سوداء

تحول وجهها الى قم يقذف
الكلمات ..

✱ ✱

قال وكيل النيابة :

- قتل مع سبق الاصرار
والترصد ..

قلت :

- نعم

- والدافع ؟

- لا شيء

- لم يكن هناك سبب محدد ؟

- لا ..

- فيم كنت تفكر واتت تمارس
القتل ؟

- لم اكن افكر ..

دق الرجل على المكتب دقا
خفيفا . قال :

- ومشاعرك ؟

- كانت عادية ..

- كنت واقعاتحت تأثيرنفسى ؟
لا

قال الرجل :

- لماذا قتلت اذن ؟

وددت لو يعفني من السؤال
السخيف .. قال :

- اختلفت معها في شيء محدد ؟
لا .

- على المال مثلا ؟

- لا .

- على شئون الطفل ؟

- لا .

- على شئون البيت ؟

- لا .

قال الرجل :

- هل كنت تشك في اخلاقها ؟
لا .

- في سلوكها ؟

- لا .

قال الرجل منفعلا :

- هل سبق اصابتك بمرض
عصبى ؟

- لا .

- عقلى ؟

- لا .

- باطنى ؟

ابتسم الطفل . ثم ضحك من
القلب . قال :

- تريد منى ان اصدق هذا ؟

اهتز كياني بعنف :

- نعم ..

عدت اقول :

- لانه حقيقي ..

قال الطفل بسعادة غامرة :

- أنت « دادي » ظريف ..

نظرت مستفسرا .. قال :

- لانك تريد ان تؤمن

بالاساطير ..

ثم عاد يضحك من القلب ..

✱ ✱

قلت لزوجتى :

- ولكنى الان مصرّ على ان

اعرف او ينتهي كل شيء الى الدمار .

قطبت زوجتى جيبتها . نظرت

الى عينيها . واحسست بأن شيئا

ما ملطخا قد ترسب بداخلهما .

وددت لو انتزعته . قالت :

- تعرف ماذا ؟ ..

- لماذا ابتسم الرجل ثم ضحك

عاليا ؟ .

- اي رجل ؟

- لا تتصني الغباء !

- ماذا تقصد ؟

- تعرفين ..

صرخت :

- عن اي شيء تتكلم ؟

قلت وأنا اكنم مشاعري بصعوبة

بالقة :

- لن انهي هذا الموقف حتى

اعرف ما حدث ..

تناثرت التجاعيد حول فمها

وهي تصرخ :

- لقد جننت بالفعل ..

قلت وانا احاول منع انفجار

رهيب :

- ستعترفين ..

ملأت التجاعيد وجهها :

- عن اي شيء تتكلم ؟

قلت بصوت خفيض جدا :

- لقد اصبح الشك يقينا

- الى هذا الحد اصبحنا
متناقضين ؟

حاولت ان اتبينه من بين
الضباب الكثيف . ولكن محاولتى
باءت بالفشل ..

✱ ✱

قدم لي طفلي الصغير صندوقا
يحتفظ فيه بنقوده قال :

- لم اعد اريدها ..

ابتسمت ..

- لماذا يا حبيبي ؟

قال الطفل :

- ليست لها قيمة عندي ..

عدت ابتسم . قال الطفل :

- اننى احصل على ما اريده

في كل وقت ..

- الادخار شيء مفيد ..

هز الطفل رأسه :

- اننى احصل على ما اريده

مضاعفا ..

قلت :

- ولكن ثروتنا يمكن ان تنتهي

يوما

- لا اعتقد هذا

- لماذا ؟

- لاننا اغنياء جدا ..

- من قال لك هذا ؟ ..

- « مامى »

تملكتني رغبة في البكاء . نظر

لي الطفل ببراءة شديدة . قال بعد

فترة تفكير قصيرة :

- لماذا نحن اغنياء يا « دادي » ؟

همست بصوت خفيض :

- ألم تقل لك « مامى » ؟

قال الطفل :

- عندما سألتها حدثتني حديثا

ساخرا ..

فكرت في مائة سبب يمكن ان

تذكره للطفل .

قلت :

- ماذا قالت :

- كلمتني عن مصباح علاء الدين

والكنز ..

قلت بارتياح :

- نعم هو ذلك . لقد وجدنا

كنزا ..

على الارياح . قلت همسا :
 - لا اريد شيئاً ..
 - ربما ساعدتك يا بني ..
 - لا اعتقد .
 - قد تكون فرصتك الاخيرة ..
 - لا يهم
 قال الواغظ :
 - من واجبي ان اعدلك للمساء
 ابتسمت . عاد يقول :
 ليس من اجلي . ولكن من اجل
 ان تتطهر روحك ..
 عدت ابتسم . قلت :
 - اشكر لك حسن نواياك
 يا سيدي ..
 هز الواغظ رأسه :
 - انني قلق عليك يا بني ..
 قلت
 - تستطيع ان تخرج وتنام ملء
 جفونك ..
 قال الواغظ :
 - كما يحلو لك يا بني ..
 ثم تمتسم بصلاة صامتة .
 واستدار ليخرج . أمسكته من كتفه .
 استدار ينظر لي وهو يبتسم
 في حنان . قلت :
 - ما هو حكم الذي يحصل على
 ثروة بغير جهد يبذله يا سيدي ؟
 توارت البسمة عن وجه الرجل .
 قال متسائلاً :
 - ماذا تعني يا بني ؟ ..
 تركت كتفه . همست :
 - لا شيء . لم اقصد شيئاً .
 لم اقصد شيئاً ..
 القاهرة

- لا .
 - كسبتها في رهان ؟
 - لا .
 - في القمار ؟
 - لا .
 - وديعة لاحد ؟
 - لا .
 - سطوت عليها ؟
 - لا .
 صرخ الرجل :
 - لمن الثروة اذن ؟
 - ليست لي ..
 قال الرجل بهدوء شديد :
 - ماذا تعمل ؟
 - لا شيء ..
 - من يعولك اذن ؟
 - لا احد ..
 - كيف تمضي حياتك ؟
 - كيفما اتفق ..
 - تعني انك تقضيها في شيء
 محدد ؟
 - لا شيء بالمرّة ..
 عاد الرجل الى صراخه :
 - كيف تشعر بوجودك اذن ؟
 همست صادقاً :
 - ربما كنت اكدوبة او شائعة
 .. من يدري ؟ ..
 قال الرجل وهو يزفر في غيظ :
 - استمرار ويعرض على
 الطبيب الشرعي .
 * *
 نظرت الى الرداء الاحمر الذي
 ارتدته . وبدا لي انه انيق ويبعث

- لا .
 - هل أنت عاجز جنسيا ؟
 - لا .
 - هل كانت مصابة بالبرود ؟
 - لا .
 - تشرب ؟
 - لا .
 - تتعاطى المخدرات ؟
 - لا .
 - أكانت لك عشيقه حرضتك ..
 - لا .
 - دق الرجل على المكتب بعنف :
 - لماذا قتلها اذن ؟
 كان الضباب الكثيف قد ملأ كياني
 تماماً واحسست بالموت يسري داخلي .
 همست
 - انني مذنب . واستحق
 الموت ..
 قال وكيل النيابة في صوت
 خفيض :
 - كيف كونت ثروتك ؟
 - ليست لي ثروة ..
 ابتسم :
 - وهذه الاموال الطائلة التي
 وجدناها بالمنزل ؟
 - ليست لي .
 - لزوجتك ؟
 - لا .
 - لاسرتك ؟
 - لا .
 - لاسرة زوجتك ؟
 - لا .
 - ورثتها عن احد ؟

في الاسواق

فكاهيات بلباس الميدان

للشاعر

الياس لحود

منشورات دار الآداب